

عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين ﴿١﴾.

وفى هذا تقنين إلهي للقتال؛ ففيه إشارة إلى المقاتلين الصابرين، وذكر الصبر هنا يدل على كثير، فالصبر لغة هو حبس النفس على مكروه، وهو هنا الثبات، وهذا الثبات هو رسوخ الإيمان فى نفوس المؤمنين الذين يوقنون بأنهم يضطلعون بمهمة يا لها من مهمة، وفى أعناقهم أمانة، حبذا هى من أمانة. ولا ننسى كذلك أن الصبر من مقامات الصوفية وله الدرجة عندهم فالله يقول لنبىه ﷺ إن عشرين ممن جرت عليهم صفة الصبر فى مكنتهم أن يغلبوا مائتين، وهذا نصر من الله وقوة غيبية تمكن المؤمنين الصابرين من أن يوردوا المشركين موارد الهلكة؛ فالله لا ينسى عباده المؤمنين فى قتالهم، بل يؤيدهم بنصره، وهذا لهم لا شك فوز عظيم، كما توضح الآية أن المائة يغلبون ألفا، ثم خفف عن المقاتلين من المؤمنين وقد غمرتهم رحمة الله، فبعد أن كانوا ناشبوا القتال من يربو عددهم على عديدهم بمقدار عشرة أضعاف أصبح الألف منهم يغلبون ألفين أى ضعفهم بإذن الله.

ومن حكيم التقنين للقتال ألا يفر المؤمنون من ساحة الوغى ما لم يكن من يقاتلونهم أكثر من ضعف عددهم، أما إن كان ﷺ معهم فلا يحل لهم فرار.

قال الله فى محكم آياته: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله وأواه جهنم وبئس المصير﴾.

وقيل فى تفسير تلك الآية الكريمة ألا يولى المؤمنون أمام الكفار، فإذا لقيت فئة من المؤمنين فئة من المشركين فالفرض ألا يفرؤا أمامهم، فمن فر من اثنين فهو فار من الزحف، أما من فر من ثلاثة فلا إثم عليه.

والفرار كبيرة موبقة بظاهر القرآن والإجماع من الأئمة، وقال بعض الأئمة من الجائز أن يفر مئة فارس من مئة فارس إذا علموا أن ما عند المشركين من النجدة والبسالة ضعف ما عندهم، أما عند الجمهور فلا يحق فرار مئة إلا مما زاد على مائتين والصبر أحسن، ولقد وقف جيش مؤتة وهم ثلاثة آلاف فى مواجهة مائة ألف<sup>(١)</sup>.

وتبين من تفسير هذه الآية أن الفرار فيه رخصة، وإن كان الصبر والصمود أفضل. ولقد قيدت هذه الرخصة بشرط، وهو شرط مقبول، لأن من يقاتل من لا طاقة له به ملق بيده

(١) القرطبي تفسير القرطبي ص ٢٨١٦ - ح ع القاهرة.